(ترويج الانعزال الوهمي)

تخيّل أن كل شخص في العالم يعيش داخل قوقعة محكمَة الإغلاق، هذا وحده وذاك منفردٌ بنفسه، ليس هناك من يمكنه تكوين علاقة صحيحة مع أي شخص كان; لأنه لا يستطيع أن يمسّ تلك القوقعة فالآخر يأبى ذلك! هذا التخيل البسيط هو ما أعرّف به ظاهرة لاقت رواجًا في الآونة الأخيرة بين روّاد مواقع التواصل الاجتماعي خصوصًا أو (السوشل ميديا) الترويج للانعزال الوهمي أو ما أحب تسميته بالمتكبر.

ظهرت لنا هذه الظاهرة الفكرية التي تكاد تكون مثل نظيراتها، بل ربما أسوأ على الصعيد الإنساني والاجتماعي، فمعتنقيها يروجّون بكلمات تدنّس الفكر والمشاعر الإنسانية: (اكتف بنفسك) (لا تتمسك بأحد) (من يأتي ويذهب يأتي غيره) (المهم والأهم نفسك لا تعر للأخرين اهتمامًا!) وهي بلا شك تحث الإنسان على عدم تقدير الآخرين، وأنه ليس هناك داعٍ للتمسك بأي علاقة مع من كان عزيزًا أو غيره، فالعلاقات يسيرة وتتبدل تلقائيا في قاموسهم مهما بلغت من ذكريات ومكانة، وفي مفهومهم أنّ العزلة خير وأبقى.

فأرى منعزلًا متكبرًا ينمو هنا!

كيف يمكننا العيش منفردين؟ ونحن خُلقنا على مؤاخاة بعضنا البعض، حينما خلق الله ادم -عليه السلام- خلق حواء من ضلعه؛ لتؤانسه في وحدته، فالبشر لم يولدوا في وحدة وانعزال، وهؤلاء يدعون إلى قناعة أخرى، بل منهج حياة مختلف.

مثلما يعزز أمثالهم للصراحة المطلقة وإنْ كانت بشعة، إلا أنهم يرونها حق للفرد ولا يهم حتى إن تصدّعت علاقاتهم، فلا زالوا يقتنعون بتبدل الأشخاص كالجماد، هذه الرؤى تفسد المجتمع وتبني جيلًا لا يكاد يفهم معنى التنازل، التضحية، الاحترام في العلاقات وربما أصبحت الأنانية عنوانًا لهم.

ماذا نفعل في ظلّ هذه الأزمة؟ كيف نمحو هذا الفكر السقيم؟ قبل أن يتفشى ويمسي نظرية تُدرَّس لتسعد في الحياة، وللأسف السعادة أبعد ما تكون عنهم، فلا سعدَ في عيشك وحيد كمن ينتظر الموت فقط دون اهتمام.

السعادة تكمن في مشاركة الحزن مع صديق والفرح مع رفيق، أنْ تتخبط مشاعرك بين حين وآخر، ويتصاعد الحب والاحترام بينكم فتمتلئ روحك بالودّ والبهجة والسرور.

أن تكون في علاقة صادقة خيّرة، ذلك من أسمى أمنيات الإنسان.

- جمانة المري.